الجمهورية التونسية
وزارة التربية

كلمة
السيد الطيّب البكوش
وزير التربية

في اجتماعه مع مؤسّسة "كونراد أدناور"

ألمانيا، الاثنين 06 جوان 2011

كلمة السيد وزير التربية بتونس
أ.د الطيّب البكوش
برلين 06 جوان 2011

السيّد Dr. Hans-Gert Pöttering رئيس مؤسّسة "كونراد أدناور"،
السيّدات و السّادة الحضور،

يشرّفني أن أرفع إليكم شكري لدعوتكم لي حتّى أكون ضيفا لدى مؤسّستكم العريقة وفي مدينة برلين التي راوحت خلال تاريخها الطويل بين أن تكون مركزا ثقافيا وحضاريا أوروبيا وعالميا وبين أن تكون رمزا للصمود ولمقاومة الاستبداد. وهي كانت وستبقى رمزا لوحدة الألمان ولحريّتهم.

كما أشكركم للاهتمام الذي أبديتموه بتطور الأوضاع التونسيّة بعد ثورة جانفي **2011** وتعاطفكم مع ثورة شعبنا و نضال قواه الحيّة (خاصّة الشباب منهم) من أجل الحريّة والتحرّر الاجتماعي والكرامة.

حضرات السّيّدات و السّادة،

لقد أسقطت الثورة التونسيّة نظاما سياسيّا وأمنيّا استبداديّا من أعتى الدكتاتوريّات في بلدان الجنوب ومن أكثرها توغّلا في الفساد المالي والسياسي والإداري والأخلاقي حيث تحوّلت الدولة التونسيّة في الحقبة الأخيرة من تاريخها إلى أداة قمع واضطهاد موجّهة ضد كل قوى المجتمع والتحرّكات الاجتماعيّة وضد كل التيّارات الفكريّة والسياسيّة الطامحة إلى الحريّة والكرامة ورعاية حقوق الإنسان والديمقراطيّة. كما تحوّلت الدولة خلال ذات الحقبة إلى جهاز نهب لخيرات البلاد والممتلكات العموميّة لصالح عدد قليل من العائلات المرتبطة بالرئيس المخلوع وزمرة من المنتفعين الفاسدين حوله وذلك ما نتج عنه تأزّم غير مسبوق للوضع الاقتصادي والاجتماعي وانسداد مطلق للوضع السياسي عبّرت عنه اختلالات موازين الدولة وتعاظم البطالة (خاصّة في أوساط الشباب المتعلّم والحاصل على شهادات جامعيّة) وتهميش سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وتربوي وخدماتي لقطاعات واسعة من المجتمع و الجهات و الفئات في بلادنا.

لقد انفجرت الثورة من أعماق المناطق المحرومة وشاركت فيها مختلف الفئات الشعبيّة المضطهدة والمهشمّة وقادها شبابها المتعلّم وواكبتها القوى السياسيّة والفكريّة الديمقراطيّة التي عانت من القمع. وتميّزت ثورتنا بطابعها الشعبي وبأسلوبها النضالي السلمي فكانت معبّئة حول شعارات تقدّمية مثل الكرامة البشريّة و الحقّ في العمل وفي خدمات الدولة العموميّة وفي الحريّة والمشاركة في الحياة العامّة ورعاية حقوق الإنسان واحترام الحريات الشخصيّة والجماعيّة وإنجاز نمط للتنمية الاقتصاديّة يضمن العدل والتوازن بين الأجيال والفئات الاجتماعيّة ومختلف جهات البلاد.

لقد ربطت الثورة التونسيّة بين مقاومة الاستبداد والفساد وبين المطالبة بنمط اقتصادي واجتماعي وسياسي حرّ عادل متوازن وهي بذلك فتحت أفقا لباقي الشعوب العربيّة دون السقوط في منزلقات وآفات التعصّب الإيديولوجي والتطرّف الديني و الإرهاب السياسي أي تلك الانحرافات والمخاطر التي مورس الاستبداد والفساد بدعوى مقاومتها، ودفعت ببعض القوى والمؤسّسات الدوليّة إلى السكوت عن معاناة شعوبنا الرازحة تحت الدكتاتوريّات بذريعة الخوف من السقوط في ما يمكن أن يكون أخطر، كما جعلت بعض أصدقاء بلداننا عاجزين عن مساعدتها ومؤازرتها.

إنّ الطبيعة السلميّة والشعبيّة والتقدّميّة للثورة التونسيّة أسّست خيارا جديدا بالنسبة إلى المجتمعات العربيّة و الإسلاميّة وباقي بلدان الجنوب لأنها رسمت طريقا غير مكلفة بشريّا وسياسيّا واستراتيجيّا من أجل تحقيق التغيير الثوري والديمقراطي وذلك دون السقوط تحت تأثير قوى التطرف والإرهاب والأصوليّة الإيديولوجيّة والدينيّة ودون التنكّر للالتزامات الدوليّة أو الانحدار في أتون الحروب الأهليّة. وإنّي أريد التأكيد هنا على الأهميّة الإستراتيجية والتاريخيّة القصوى لنجاح الثورة التونسيّة في مسيرتها لأنها تفتح باب الأمل لباقي الشعوب العربيّة والإسلاميّة والإفريقيّة وتجعل من مسألة التحوّل الديمقراطي في صيغته الجديدة الإيجابيّة أمرا ممكنا بالنسبة إليها.

وفي المقابل أيّ تعثّر أو عرقلة أو فشل على درب تحقيق أهداف الثورة في تونس لن يعزّز غير انسداد الآفاق التي يمكن تلخيصها في النظرة القائلة باستحالة الإطاحة بالاستبداد والفساد إلا عن طريق العنف المسلّح والعمل الإرهابي ممّا قد يقود إلى إرساء أنظمة متشدّدة وشموليّة ونكون كذلك قد عالجنا داء بداء وعوضنا رعبا برعب آخر مماثل ممّا قد يثبط عزائم باقي الشعوب عن الانخراط في السعي النضالي ضدّ الدكتاتوريّات والفساد ومن أجل الديمقراطيّة والسلم بين الشعوب وتنمية اقتصادياتها. لذا فإنّي أود أن أقول لأصدقاء تونس وبـــــاقي الشعوب العــربـيّــة ولجميـع أنصــار الديمقراطيّـــة الألــمـــان والأوروبيـين الذيـــن نــرتبـــط بهم -مجتمعات ودولا- عبر شبكة واسعة من المصالح المهمّة - أن مساندة الثورة التونسيّة ومساعدتها على تحقيق أهدافها السياسيّة (في الانتقال نحو الديمقراطيّة) والاقتصاديّة (عبر الاستثمار والشراكة) أمر على غاية من الأهميّة التاريخيّة والإستراتيجية بالنسبة إلى أوروبا وتونس وباقي العالم العربي. وهذه الأهميّة ليست من باب التخمين وإنّما هي مصلحة متجذرة في الواقع حيث أنّ الاحتمالات المستقبليّة لا تتعدّى المشاهد الثلاثة التالية:

1- انتصار النمط التونسي للثورة الديمقراطيّة السلميّة الشبابيّة والسّائرة في طريق الانتقال نحو الديمقراطية وإقرار حريّة قوى المجتمع المدني وتجذير التعدّدية الاجتماعيّة والفكريّة مع اعتبار إيجابيّات تأثير ذلك على باقي بلدان المنطقة .
2- انتصار منطق الحكم الاستبدادي (العسكري أو المدني) عبر الثورات والثورات المضادّة العنيفة هي التي تفتح باب الحروب الأهليّة وذلك ما يجري حاليا في بعض البلدان المذكورة.
3- انتصار منطق الإرهاب (على نموذج عمل تنظيم القاعدة) في مكافحة الأنظمة السياسيّة والنظم الدوليّة.

ونحن نلفت النظر إلى أن ثورة بلادنا بإطاحتها بنظام استبدادي وفق التمشّي الذي أشرنا إليه قد فندت أسس أطروحات العمل الإرهابي كوسيلة للتغيير وهي بذلك تحوّلت إلى خصم لدود للاثنين (الاستبداد والإرهاب)

ممّا يجعلها مستهدفة من قبلهما : وهو ما نواجهه من إفرازات على حدودنا الشرقيّة (مع ليبيا) وعبر بعض العمليّات التي تصدّى لها أمننا وجيشنا في بعض مدن بلادنا.

حضرات السيدات والسادة

تعرف بلادنا في هذه المرحلة التاريخيّة تحدّيات داخليّة هامّة نعمل مع كافة القوى السياسيّة وكل قوى المجتمع المدني وجميع الكفاءات الوطنيّة على رفعها. وتتمثّل تلك التحدّيات في المراجعة الإصلاحيّة لكل الأوجه السياسة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والتربويّة حتى نجعلها في خدمة المجتمع ومختلف قواه دون تمييز أو إهمال. وتستوجب تلك المراجعة التصحيحيّة تعبئة شاملة للقوى البشريّة والمعنويّة في بلادنا كما أنّها تستوجب معاضدة أصدقائنا لنا وفق خطط وبرامج يتمّ الاتفاق عليها وعلى آليات تنفيذها.

وما من شكّ أنّ إرساء نظام ديمقراطي فعلي سوف يتعزّز بالانتخابات الحرّة الشفافة لمجلس وطني تأسيسي والتي ستكون مدخلا تاريخيّا هاما لمرحلة جديدة في تاريخ بلادنا. ونحن نعتبر أن من شأن الديمقراطيّة السياسيّة أن تعزّز حسن الاختيارات الوطنيّة العامّة في مختلف المجالات، كما أنّها تفعّل آليّات المراقبة والتصحيح لكل المسارات التي سوف تتّبعها السياسة الوطنيّة في تونس مستقبلا.

ومن جهة أخرى تعرف بلادنا تحدّيات خارجيّة هامة، لذلك أريد أن أؤكّد أنّ بلادنا تنظر إلى مجموعتين دوليّتين باهتمام كبير وهما الاتحاد المغاربي والاتحاد الأوروبي.

فنحن بحكم منطق الانتماء الجغرافي والحضاري وبحكم منطق المصالح الحقيقيّة لبلادنا - نرى ضرورة تقوية علاقاتنا مع هذين المحيطين الدوليّين ومزيد تنمية التعاون معهما في جميع الميادين.

حضرات السّيّدات و السّادة،

تعرف الثورة في بلادنا - حاليا - تحدّيات مهمّة نلخصها في ثلاثة محاور :

1-إنجاح مرحلة الانتقال الديمقراطي بالقطع النهائي مع نظام الدكتاتوريّة والفساد عبر انتخابات المجلس التأسيسي وصياغة شرعيّة دستوريّة جديدة والانطلاق في عمليّة إصلاح شامل يخصّ كل جوانب الحياة العامّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والتربويّة والثقافيّة والبحث العلمي والبيئة والبنية التحتيّة والتوازن الجهوي... ونحن نحتاج في ذلك (خاصّة فيما يتعلّق بالمستوى التنموي والاقتصادي والتقني) إلى معاضدة ودعم حقيقيين من قبل أصدقائنا وشركائنا عبر الاستثمار والمساعدة والشراكة.

2-تأمين الانتقال الديمقراطي في تونس من المخاطر الخارجيّة التي تهدّده والتي يمكن حصرها أساسا في المحيط الإقليمي.

ذلك أن نجاح الثورة التونسية في إسقاط النظام الدكتاتوري حرّر طاقات التغيير على امتداد المحيط الإقليمي بما في ذلك الجارة ليبيا ذات الروابط القويّة على جميع الأصعدة مع تونس.

فبين تونس وليبيا حاليا ما يشبه العلاقات بين الدول الأوروبيّة الغربيّة فيما بين **1789** وثورات **1848** وحتّى قيام الوحدتين الوطنيّتين في إيطاليا وألمانيا خلال القرن التاسع عشر أو ما يشبه التحوّلات في أوروبا الشرقيّة فيما بين **1985** ومطلع التسعينيات حيث لا يمكن أن يتقدّم بلد في إنجاز مشروعه إلاّ بالتفاعل مع ما يجري لدى جيرانه من تحوّلات. لذا يصعب أن تتأقلم الثورة التونسيّة مع بقاء النظام اللّيبي على ما كان عليه خلال العقود الأربعة الماضية. فاتجاه تطوّر كل بلد يؤثر في الآخر. ونحن نعتبر أنّ نظاما ديمقراطيا في طرابلس عنصر نجاح مهمّ للثورة التونسيّة، وما سواه خطر عليها.

ويتمثل ذلك الخطر في عوامل الزعزعة الاجتماعيّة (مئات آلاف اللاّجئين الليبيين والأجانب وتدفّق السلاح والمسلّحين إلى بلادنا وتكاثر الاعتداءات المسلّحة على ترابنا الوطني بفعل الملاحقات بين المتحاربين وتسرّب مجموعات إرهابيّة عبر الحدود واندثار حركة التجارة والتبادل

بين البلدين وبين الأهالي من البلدين في تلك المناطق فضلا عن ضعف المساندة الدوليّة لتونس لمواجهة المصاعب النّاجمة عن الحرب في ليبيا وتوسّع دائرة عدم الاستقرار في الجنوب التونسي ومضاعفاته على الاقتصاد والأمن والسياحة، هذا إلى جانب التناحر بين لاجئين من أصول مختلفة قادمين من ليبيا ومقيمين ببلادنا.

3-تعرف الثورة التونسيّة تحديا استراتيجيا خارجيّا مهمّا يتمثّل في رغبتها في المساهمة في صياغة علاقات دوليّة إقليمية جديدة في مستويين: أوّلهما يخصّ مقاومة الإرهاب. فبنجاح الثورة التونسيّة يتأكّد لدى الجماهير العربيّة المسلمة وخاصّة لدى شبابها أنّ سبل التغيير الديمقراطي لا تكمن في إتباع نهج الإرهاب والتطرّف الذي تُسوّقه شبكات تنظيم القاعدة بل في الاحتجاج السلمي. إن نجاح الثورة في تونس يعني فشل آستراتيجية القاعدة. وليس من الصدفة أنه لم يخرج أحد إلى الشارع احتجاجا على قتل زعيمها رغم الطريقة المثيرة للجدل في قتله خارج القانون.

وبذلك يكون نجاح الثورة في تونس عاملا أساسيا في عوامل إفشال الدعوة القائلة بممارسة الإرهاب تحت شعار مقاومة الاستبداد أو تحت غطاء الدعوة إلى تحرير فلسطين، وذلك لصالح النضال من أجل تحقيق تقرير المصير بالوسائل المدنية السلمية. ومن جهة أخرى يساعد نجاح الثورة في تونس بالخصوص على خلق مناخ دولي يسمح للمنتظم الدولي والقوى الكبرى أن تضغط على الإسرائيليين قصد التفاعل إيجابيا مع المناخ الجديد- عربيا وفلسطينيا ودوليا- والانخراط في عملية سلام شامل يُقرّ بالحقوق الوطنيّة الفلسطينية حتى يتعمق الجهد الإنساني حول المتوسط للقضاء على بؤر التوتر التي تزداد تعفنا من جرّاء القمع والفقر والجهل والاستعمار الاستيطاني.

حضرات السيدات و السادة

أشرت في كلمتي حول التحديات المرتقبة للثورة التونسية على الصعيد الخارجي، والقصد من ذلك مضاعف حيث نروم أولا تأكيد رغبة

بلادنا بعد ثورة **14** جانفي **2011** في المساهمة الفعالة في صياغة علاقات دولية جديدة أكثر أمنا واستقرارا وعدلا وثانيا التأكيد على أهمية الترابط بين البعد الدولي والإقليمي كعوامل محتملة لإنجاح الثورة في بلادنا من أجل تحقيق أهدافها الداخلية في التنمية والعدالة والحرية .

فمن الهام التأكيد على التحديات الداخلية المتمحورة حول الأمن والاستقرار والتنمية والاستثمار الاقتصادي والإصلاحات المتعددة الجوانب في مختلف المجالات مثل التربية والتكوين المهني والبحث العلمي ودعم التشغيل وتعصير البنية التحتية والجهاز الإنتاجي في الفلاحة والصناعة وقطاعات الخدمات والسياحة والمعرفة. وتلك مجالات لا نستغني فيها عن مساعدة ومعاضدة أصدقائنا وشركائنا الفعلية الملموسة ونخص بالذكر منهم أولائك الذين لهم مع بلادنا علاقات عريقة مثل ألمانيا، الحاضرة في بلادنا عبر الاستثمار (الذي نود أن نراه يتصاعد) والسياحة (التي نأمل أن تتعزز) والإشعاع الثقافي (الذي نروم أن يتوسّع) وعبر حضور جالية تونسيّة مقيمة في بلادكم (نرجو لها كامل النجاح).

وفي الختام نحن واثقون أنّ المناخ الذي خلقته ثورة تونس من شأنه أن يعزّز قاعدة تعاوننا وعلاقاتنا في المستقبل لأنّه مناخ إيجابي يقوم على الشرعيّة والقانون وحقوق الناس وكرامتهم وتلك قيم أصيلة في بلادنا منذ حركة الإصلاح في القرن التاسع عشر وأصيلة في الثقافة الألمانيّة منذ حركة الأوفكلارونغ **Aufklarung** (حركة الأنوار الألمانيّة) ومطابقة لمصالحنا وطموحاتنا المشتركة.

أشكركم على دعوتكم وحضوركم وحسن استماعكم.

والسّـــــلام